دار الثقافة

المسيحية والإنتماء الوطنى

دعوة للإنفتاح والمشاركة

ق . مكرم نجيب



المسيحية والانتماء الوطنى

دعوة للانفتاح والمشاركة

الدكتور القس مكرم نجيب



طبعة أولى

المسيحية والانتماء الوطنى

صدر عن دار الثقافة ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة

 ١٠ / ٦٤٤ ط١ / ١ - ١ / ٩٥

رقم الإيداع بدار الكتاب : ٣٤٨٣ / ٩٥

I.S.B.N 977 - 213 - 269 - 9

جمع وطبع بسيوبرس

مقدمة الدار

تهتم دار الثقافة بإصدار كتب تتناول القضايا الهامة التى تهتم بها الكنيسة والمجتمع. ولعل قضايا المشاركة فى الحياة المصرية المعاصرة تعد من اهتمامات الكنيسة والمجتمع المصرى عامة.

لقد صنعت الكنيسة فى فترات متعددة من تاريخنا المعاصر أسواراً من العزلة مما جعلها فى مرات تشعر بالاغتراب، وفى مرات أخرى تشعر بالتهميش والانزواء، لهذا جاءت الدعوة إلى المشاركة والانفتاح كضرورة حتمية لدور الكنيسة ورسالتها.

إن دار الثقافة يسعدها أن تقدم للقارىء المصرى والعربى رؤية المسيحية للمواطنة إيماناً منها بأن الفكر الدينى المسيحى يهمه الانتماء وصناعة مستقبل أفضل للكنيسة والوطن معاً.

دار الثقافة

المحتويات

صفحة

* تمهيـــد ٧

* أولاً لمحـــة تاريخيـــة ٩

* ثانياً الأساس الكتابى واللاهوتى ١٧

* ثالثاً لاهوت المشاركة ٢٩

* كنائس العالم ٣٢

* التيارات الفكرية ٣٤

* المجتمع المصرى ٣٨

* دعوة للمشاركة النشطة والانفتاح على المجتمع ٤٢

* دعوة للمجتمع ٤٦

تمهيد

يتصور بعض المسيحيين أن حياتهم لا تنتمى إلى هذا "العالم" وبالتالى يشعرون بالاغتراب فى أوطانهم ويغالون فى السلبية والانسحاب والانطواء على أنفسهم، وفى الابتعاد عن الانشغال بقضايا مجتمعاتهم، ظناً منهم أن الانشغال بظروف وحياة المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمشاركة فيها، من صفات أهل "العالم" "غير الروحانيين".

على الجانب الآخر، نستمع فى بعض الأحيان إلى أصوات ونزعات تنظر إلى الإنسان وتصنفه على أساس دينى، وليس على أساس المواطنة فى إطار النسيج الوطنى الواحد. ظناً منهم أن الانتماء للدين يتعارض مع الانتماء للوطن.

وهنا قفزت إلى الذهن أسئلة عديدة، منها هل الانشغال بظروف المجتمع والمتغيرات العالمية أمر غير روحى؟ أم أن الروحانية الصحيحة تشمل حتماً هذه الجوانب؟ وهل توجد أسس إيمانية ولاهوتية نستند عليها؟ وهل الكنيسة والأفراد مدعوون للمشاركة النشطة بناءً على هذه الأسس؟ وكيف نتخلص من الرواسب السلبية؟ وما هو الموقف الصحيح من "العالم"؟ وكيف تطور وتبلور مفهوم المواطنة عبر التاريخ؟ وكيف يكون هذا المفهوم هو الأساس والقياس لوطنية جميع المواطنين بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والحزبية؟ وكيف ندفع بالجميع فى هذه المرحلة التى تتجه فيها بلادنا إلى مساحات أوسع من الديمقراطية

والحرية إلى المشاركة الفعالة للبناء والتنمية؟*

وللإجابة على هذه الأسئلة -التى تحتاج إلى جهد أطول وأكبر- أقدم بإيجاز هذه الدراسة، راجياً أن تساعد فى صياغة اقتناعاتنا الصحيحة والنافعة.

الدكتور القس مكرم نجيب

أولا

لمحة تاريخية

اكتشف الإنسان منذ فجر التاريخ حاجته للاتصال بغيره والتعاون وتبادل المنافع مع الآخرين حوله، ومن هنا تكونت الأسر، والمجموعات من قبائل وعشائر ثم تطورت إلى مدن وشعوب،دول، وهكذا عرف الإنسان التجمعات البشرية بعلاقاتها الاجتماعية والسياسية، وحتمية وجود سلطة حاكمة وقوانين تشريعية تنظم العلاقة بين الناس بعضهم البعض وبين الحاكم والمحكومين.

ولأن الإنسان (مدنى بالطبع) كما يقول بن خلدون فى "مقدمته" الشهيرة، تمكن من بناء الحضارات المتعاقبة، ومن السير نحو الرقى الاجتماعى، ومن وضع أسس المجتمع المدنى المنظم، مما أكسبه صفة المواطنة بما لها أو عليها من حقوق وواجبات تجاه الوطن. فالمواطنة فى معناها الواسع هى صفة لكل فرد ينتمى إلى وطن أو دولة.

على أن مفهوم المواطنة كما نعرفه الآن لم يظهر دفعة واحدة، بل تبدل وتطور عبر الأزمان وعلى ضوء تاريخ التجربة الإنسانية الطويلة.

فمثلاً فى المجتمع السياسى الإغريقى القديم استطاع الإنسان وضع تشريعات تحدد حقوقه وواجباته داخل مدينته، لكن مفهوم المواطنة حين

ذاك ارتبط بالديانات السائدة من جهة وبالتركيبة الاجتماعية من جهة أخرى. فالمواطن فى هذا الإطار هو الذى يقدس آلهة مدينته، وبما أن التركيبة الاجتماعية القديمة كانت تتكون من أحرار وعبيد، إذن تكون المواطنة امتيازاً للأحرار فقط. هذه التجربة الأولى، برغم ما شابها من قصور، تشكل (البداية) لتطور مفهوم المواطنة، كما أنها تشير إلى وعورة الطريق، طريق تطور هذا المفهوم، حتى يتخطى العديد من العراقيل التى اعترضته على أساس الوضع الاجتماعى والجنس والدين واللون إلى آخره.

وعندما جاءت الأديان السماوية واحداً بعد الآخر التقت على محاربة العبودية وكل أنواع التفرقة والمناداة بالقيم الدينية السامية كالحرية والعدالة والمساواة. على أن الممارسة العملية فى أحقاب مختلفة من التاريخ، وفى أماكن متعددة من العالم، أثبتت أنه بالرغم من أن الأديان نفسها نادت بالمفهوم الأشمل والأنبل للمواطنة إلا أن التطبيقات البشرية، خاصة فى عصور التدهور، جعلت البعد الدينى يطغى على مفهوم المواطنة ليصبح جداراً جامداً يحد من حرية الإنسان، بدلاً من أن يكون إطاراً رحباً يدفع به ومن خلاله إلى تقدم الإنسانية عبر العصور.

إلى أن جاء الإصلاح الدينى فى أوربا فى القرن السادس عشر الميلادى، وهو الإصلاح الذى مهد لعصر النهضة وعصر التنوير. ونادى المفكرون والمصلحون بأن الدين "المسيحى" يهتم بكل شئون الحياة، لكنه

"يتمايز" عن الدولة والسلطة السياسية. هذا التمايز لا يعنى "فصل" الدين عن الدنيا كما يظن البعض أو "نفى" الدين من الدنيا كما يظنه البعض الآخر، فهذا أمر مستحيل، إذ أن الدين لكى يكون ديناً لابد أن يشمل علاقة الإنسان بالله وبالآخرين وبالمجتمع الكبير الذى ينتمى إليه. لكن الدين، فى ذات الوقت، ليس هو "النظام" الذى يشرع ويحكم شئون الدولة بل هو "الملهم" للناس وللدولة بالقيم الدينية التى هى فى صميم ونسيج حضارة كل شعب. فالفصل المقصود فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية، ورفض هيمنة المؤسسات الدينية على مقدرات وحريات الشعوب، لأن الدين هو "المحرر" للعقل الإنسانى من الجمود لينطلق ويفكر ويجتهد فى أمور حياته نحو الأفضل. وهكذا نادى المصلحون بالمساواة الكاملة بين البشر وبين رجال الدين والشعب أمام الله، وبحق التقدم لله مباشرة دون وساطات بشرية وباتكال على نعمة الله، وبحق الجميع فى دراسة وفهم الكتاب المقدس، ومسئولية كل فرد قدام الله. وعلى أساس هذه التعاليم تعمقت قيمة الحرية وإعمال العقل فى كل المجالات، ووضعت الأسس الحديثة للنظم الديمقراطية، وأن السلطات فى الدولة معينة من الله، وبالتالى لابد أن تعبر عن إرادة الله الصالحة بإقامة الحق والعدل لجميع المواطنين على السواء. وأيقظ المصلحون الشعور الوطنى، فاستخدموا لغة الشعب فى الصلاة والعبادة، وترجموا الكتاب المقدس إلى لغتهم. كما نادوا بحق الطبقات الكادحة فى الحياة الكريمة فى مجتمع ديمقراطى، ووقفوا فى وجه تسيد الأمراء على فقراء الشعب، وفى نفس الوقت دعوا إلى إعلاء قيمة

العمل والإنتاج فى حياة الفرد والمجتمع، والبعد عن التواكل والتراخى.

وفى القرن السابع عشر نادى الفيلسوف الإنجليزى "توماس هوبز" بالفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، وأن الفترات التى عاشتها الإنسانية تحت حكم دينى انتفت فيها الحريات وانتهت إلى عبودية مقنعة، وهذا ما أسماه هوبز **"بالسلطة المولدة للطغيان"**، ولذلك دعا إلى تداول السلطة السياسية بصورة عادلة بين أيدى من يستحقها من الناس حسب اختيارات حرة وديمقراطية تتمثل فى عملية الانتخاب.

وفى القرن الثامن عشر تبلور المفهوم الحديث للمواطنة من قبل المفكرين والمصلحين وفلاسفة التنوير. فنادى جان جاك روسو **"بالعقد الاجتماعى"** الذى يكفل حرية الإنسان وإرادته، ويمكنه من المواطنة الحرة فى إطار حياة المجتمع، ولذلك لابد من قانون ينظم تفاعل إرادات وحريات الأفراد دون الحد منها، والسلطة المتولدة عن هذا النظام التعاقدى الحر هى الدولة الديمقراطية التى هى أرقى نظام سياسى عرفته الإنسانية، والتى فيها يتمكن المواطن من ممارسة مواطنته على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى تهم الوطن.

على أن هذا المفهوم الحديث للمواطنة لم يطبق ويمارس فعلياً فى أماكن متعددة فى العالم، إلا فى نهاية النصف الأول من القرن العشرين، حيث صدر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان من قبل منظمة الأمم المتحدة فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٨، والذى نادى بالحقوق الأساسية

التى يجب أن يتمتع بها كل إنسان أينما كان دون أى تمييز أو تفرقة على أساس الجنس أو الدين أو اللغة أو الأصل الاجتماعى.

ومن ذلك الوقت أصبح القانون الدولى هو الحامى لمواطنة الإنسان وفقاً للقيم والمبادىء الإنسانية الشاملة التى بلورها الفكر الحديث ضمن المجتمع المدنى المعاصر. وحتى فى فرنسا التى ثارت ثورتها فى عام ١٧٨٩ بشعاراتها الشهيرة عن "الحرية والإخاء والمساواة"، ظل التمييز بين المواطنين على أساس ملكية وسائل الإنتاج، فالذى يملك هذه الوسائل ويستطيع دفع الضرائب يتصف بالمواطنة الإيجابية، أما الذى لا يمتلك وسائل الإنتاج وبالتالى يعجز عن دفع الضرائب فيتصف بالمواطنة السلبية. ولم يتغير هذا الوضع إلا مع تغيير الدستور الفرنسى عام ١٩٥٨ الذى أقر **"المواطنة الموحدة"** لجميع المواطنين، بعد عشرة أعوام من إصدار الإعلان العالمى لحقوق الإنسان.

هذا المفهوم الحديث للمواطنة يضم أبعاداً مختلفة ومتكاملة. فهو يشمل البعد التشريعى الذى يحتم مساهمة المواطن فى وضع القوانين التى تنظم علاقة الأفراد فى المجتمع، والتى هى من صميم سمات المجتمع المدنى الذى يتعذر ممارسة المواطنة خارجه. كما يشمل البعد السياسى الذى يضمن للمواطن حق الانتخاب والترشيح للعمل العام وحرية التعبير عن الرأى فى كل ما يتعلق بشئون وطنه. أما البعد الاقتصادى فيكفل حق كل مواطن فى العمل والحياة الكريمة وواجبه فى المشاركة فى التنمية الشاملة للوطن. كما يضم البعد الاجتماعى الذى

يتمثل فى انتماء الفرد لأسرته الصغيرة ولمجتمعه الكبير الذى يشارك فى تحقيق مصلحته العامة. وأخيراً البعد الثقافى الذى يحافظ على الثقافة والخصوصية الحضارية للمجتمع الذى ينتمى إليه المواطن مثلما يطالب بالإثراء والإبداع من خلال التفتح على الثقافات الأخرى.

ثانيـــــا

الأساس الكتابى واللاهوتى

يرتكز هذا الأساس على عدة حقائق:

١ - الخلق المتميز:

يحدثنا سفر التكوين "**وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض.**"(تك١:٢٦-٢٨).

معنى هذا أن الله لم يخلق الإنسان كسائر الأنواع والكائنات، بل أعطى له كرامة خاصة ومنحه الحرية والمسئولية. لقد خلقه حراً مفكراً مسئولاً أمامه (حز١٨:١-٢٤). وجعله تاجاً للخليقة ومتسلطاً عليها وأخضع كل شيء له.

كما يذكر كاتب المزمور الثامن "**تسلطه على أعمال يديك. جعلت**

كل شىء تحت قدميه. الغنم والبقر جميعاً وبهائم البر أيضاً. وطيور السماء وسمك البحر السالك فى سبل المياه" (مز٨:٦-٨).

على هذه الحقيقة -حقيقة الخلق المتميز للإنسان على صورة الله- يقول العالم اللاهوتى الألمانى **يورج مولتمان Jurgen Moltmann** كاتب كتاب **"لاهوت الرجاء Theology of Hope"** وكتاب **"الكنيسة فى قوة الروح The Church in the Power of the Spirit"**، يقول "إن فكرة الخلق على صورة الله تشمل إعطاء الله للإنسان حقوقه الفردية والاجتماعية كاملة، وبذلك أصبح للإنسان بحكم الخلق مشاركة الحياة من طعام وعمل ومأوى وملكية، وهو إلى جانب ذلك مسئول أمام الله تجاه العلاقة بالغير، وتجاه مستقبل الناس والعالم والأجيال القادمة. وبنفس هذا القدر من الالتزام فإن دورنا الهام هو أن نعيد للإنسان صورة الله التى سلبها منه الاستعباد...".

ويقول **الدكتور القس فايز فارس** فى دراسة عن حقوق الإنسان "إن صورة الله ليست منحة إلهية أوتوماتيكية تعطى للإنسان بقدر ما هى رجاء ووعد علينا أن نحققه فى حياتنا ومجتمعنا، وصورة الله الكاملة لا يمكن أن توجد إلا فى شخص السيد المسيح، الذى كلما اقتربنا منه وسقينا من روحه، اقتربنا من تحقيق صورة الله. فهو الذى يدفعنا أن نحفظ كرامة إخوتنا فى الإنسانية فنحقق وعده فى أن نكون على صورته".

٢- الدعوة الإلهية:

عندما خلق الله الإنسان دعاه أن يرتبط "بمكان" معين يتواجد فيه مع "آخرين". ولهذا "خلق الله الإنسان... ذكراً وأنثى خلقهم"، ودعا الله "ابراهيم" أن يخرج إلى أرض عينها له (تك١٢)، ودعى شعبه بعد ذلك إلى أرض كنعان ليسكنوا فيها.

والارتباط بالمكان وبالناس ارتباط حيوى، لأنه ارتباط تاريخ ومصير وهدف، وهكذا أراد الله أن يحقق الناس فكرة "الوطن" والانتماء له كأرض وكشعب. **يقول كارل بارت Karl Barth** "كما أن الإله الواحد المثلث الأقانيم ليس وحيداً منفرداً فى ذاته، هكذا خلق الله الناس ليكونوا معاً وليكملوا بعضهم بعضاً فى المحبة". هذا الإله العظيم هو الذى **"صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم"** (أع١٧: ٢٦). بمعنى أن الإله الذى خلق الناس يهتم بالموقع الجغرافى لهؤلاء الناس، وبارتباطهم بأوطانهم، وبالتأثير الواضح لطبيعة المكان على شخصية الإنسان، وطريقة تفكيره وأسلوب حياته (إقرأ دراسات الجغرافيا السياسية فى كتاب "شخصية مصر" لجمال حمدان).

من كل هذا نرى أن ارتباط الإنسان بوطنه، وممارسة المواطنة الصالحة والكاملة، دعوة إلهية مقدسة. وحتى فى بابل حيث تغرّب الشعب فى السبى، دعا الله الشعب أن يكونوا إيجابيين لصالح المجتمع الذى يعيشون فيه، إلى أن يأتى وقت عودتهم **"ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا**

جنات وكلوا ثمرها. خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقلّوا. واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها وصلّوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام". (إر٢٩:٤-٧).

٣- العهد والحرية :

ارتبط الله مع شعبه"بعهد" سواء مع نوح أو إبراهيم أو موسى. ويشتمل العهد بوضوح على "الأرض" و "النسل" أى الشعب. والوفاء للأرض والانتماء للشعب، أساس فكرة "الدولة" و"الوطن" و "القومية" فى كل مكان فى العالم.

كما يتضمن العهد "القيم" التى تبنى على "الشرائع" الدينية، والتى تحكم علاقات الناس بالله، وعلاقتهم ببعضهم البعض. وفى شريعة موسى أعلن الله مطاليبه الأدبية من الإنسان فى الوصايا العشر، ثم بين للناس أسلوب العبادة متمثلاً فى نظام الذبائح التى كانت إشارة لفداء السيد المسيح للعالم. والأمر المهم أن الله أعطى شريعته للشعب بعد أن تحرر من عبوديته ونال كرامته "بيد قوية وذراع ممدودة"، وعلى أساس هذه الحرية أعطيت الشريعة (خر. ٢). فالعهد هنا هو عهد "الله المحرر" مع "الشعب الحر"، وأصبحت فكرة الحرية أساس التفكير الكتابى فى علاقة الله مع شعبه.

والعهد الجديد يتمركز حول عمل المسيح المحرر لكل الناس الذين

يؤمنون به، إذ يتمتعون "بحرية مجد أبناء الله"، ويعملون على الدعوة لتحرير الآخرين. يقول مولتمان: **"لا يقدر المسيحيون أن يتركوا أى مجال دون الشهادة للحرية المقدسة، وعهد الله، ومجد وكرامة البشر".**

من هنا، بات لزاماً على شعب الرب، الاشتراك فى الدعوة للحرية والتحرير من خطايا الفرد وخطايا المجتمع، من الفساد أو الظلم أو الاستعمار، أى تحرير المواطنين وتحرير الأوطان.

٤- رسالة الأنبياء :

عندما استقرت الأمة اليهودية كمملكة، كانت الصورة المثالية المطلوبة هى **"الحق والبر"**. وفى المفهوم الحديث -كما يقول **الدكتور القس فايز فارس**- نجد هاتين الكلمتين فى العبارتين **"الحق فوق القوة"** و**"العدل أساس الملك"**. لكن الطبيعة الإنسانية الشريرة، ورغبة الحكام والملوك فى السيادة والسيطرة وإذلال الغير، كانت تجربة مريرة لهؤلاء. فأرسل الله الأنبياء ليحذروا السلطات، ويذكروهم بواجباتهم التى تتمثل فى رضى الله من خلال الحرص على كرامة المواطن، والعمل على مساواة المواطنين، وسلامة الوطن، وإقامة المجتمع العادل.

كان الأنبياء مصدر إزعاج للسلطات المستبدة، وتعرضوا للموت والهزء والاضطهاد، ولكن هذا هو المصير الطبيعى لكل الذين يتمسكون بالمبادىء، ويقاومون الظلم والظلام، ويدينون القسوة والقهر والعنف. لكن الأنبياء قاموا بواجبهم بأمانة وشجاعة نادرة، ولنستمع

على سبيل المثال إلى إشعياء النبى يقول "ويل للذين يقضون أقضية البطل وللكتبة الذين يسجلون جوراً ليصدوا الضعفاء عن الحكم ويسلبوا حق بائسى شعبى لتكون الأرامل غنيمتهم وينهبوا الأيتام. وماذا تفعلون فى يوم العقاب حين تأتى التهلكة من بعيد إلى من تهربون للمعونة وأين تتركون مجدكم". (إش.١٠:١-٣) ولنستمع إلى عاموس النبى يصرخ قائلاً: "هكذا قال الرب. من أجل ذنوب يهوذا الثلثة والأربعة لا أرجع عنهم لأنهم رفضوا ناموس الله ولم يحفظوا فرائضه وأضلتهم أكاذيبهم التى سار آباؤهم وراءها فأرسل ناراً على يهوذا فتأكل قصور أورشليم. هكذا قال الرب. من أجل ذنوب إسرائيل الثلثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهم باعوا البار بالفضة والبائس لأجل نعلين. الذين يتهممون تراب الأرض على رؤوس المساكين ويصدون سبيل البائسين ويذهب رجل وأبوه إلى صبية واحدة حتى يدنسوا اسم قدسى" (عاموس٢:٤-٧). وكما كان أنبياء الله، هكذا يجب أن يكون كل شعب يؤمن بالله فى كل مكان.

٥- حياة ورسالة السيد المسيح :

عندما ولد السيد المسيح، تجسد فى شخصية إعلان الله الكامل عن ذاته، وتحقق فى حياته وفى عمله وعد الله وعهده ورسالة الأنبياء بفداء روحى أعمق وأشمل يعيد للإنسان "صورة الله" التى خلق عليها، فى حرية وكرامة وإنسانية حقيقية.

فلقد تعامل المسيح مع جميع طبقات الناس وأجناسهم، بمساواة

كاملة دون تعصب أو تحيز أو محاباة.. كان من بين أصدقائه ومريديه البسطاء والحكماء، الحكام والشعب، الأغنياء والفقراء. وكان يتعامل بنفس الحب والتقدير مع زكا العشار، والشاب الغنى، والطفل الصغير، والمرأة السامرية، والمرأة الخاطئة، والصياد. حتى مع المتطرفين دينياً تعامل بنفس المساواة والحب حتى أنه أخذ من واحد منهم تلميذاً هو سمعان الغيور. لكنه فى تعليمه كان يضع أمام الأغنياء تحديات الفقر (زكا والشاب الغنى) ومع الأقوياء يتحدث عن عجز القوة (نيقوديموس). كان يقف دائماً إلى جانب المواطن خاصة المسكين والمقهور والخائف والمهدد. ولقد أعلن بوضوح أن رسالته هى رسالة تحرير للأسرى وتبشير للمساكين: **"روح الرب علىَّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة"** (لو٤:١٨و١٩)، حتى أنه أخذ على الصليب مكان المقهور والخاطىء والمتألم بإرادته واختياره ليعطى نفسه للآخرين، وليكلم فينا إنسانيتنا المتألمة المشوشة والمشوهة ليرد لها إنسانيتها الضائعة وشفاءها الحقيقى، وليعيد صياغة حياة جديدة صالحة للإنسان تعيش فى دائرة رضى الله وحبه وفى حب الآخرين وخيرهم أى فى إطار من المحبة والعدل والخير.

ولقد عاش المسيح نفسه كمواطن صالح، يخدم أولى الأمر، ويدفع ما عليه لمجتمعه، يرتبط بأرضه وبشعبه حتى أنه مرة بكى عليهم "يا

أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا" (مت٢٣:٣٧). و "لما جاءوا إلى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين إلى بطرس وقالوا أما يوفى معلمكم الدرهمين. قال بلى. فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلاً ماذا تظن يا سمعان. ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمن بنيهم أم من الأجانب. قال له بطرس من الأجانب. قال له يسوع فإذاً البنون أحرار. لكن لئلا نعثرهم اذهب إلى البحر وألق صنارة والسمكة التى تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تجد إستاراً فخذه وأعطهم عنى وعنك" (مت١٧:٢٤-٢٧).

وكان فى حنان بالغ يجول يصنع خيراً ويشفى المرضى، ويفتح أعين العمى، ويقيم المقعد، ويرد الحياة للموتى، ويشبع الجوعى، ويدعو الجميع إلى أفضل حياة، إلى الإيمان والرجاء والسلام والمحبة حتى للأعداء.

وفى حياة يسوع وعمله وتعليمه نرى المواطنة دعوة إلهية ترتبط بالمكان وبالمجتمع، ومن خلال الفداء تظهر قيمة الأخلاق الجديدة، أخلاق المحبة التى تتفق مع الإيمان فتكون شهادة تتفق مع الدعوة.

وفى قولته الشهيرة **"أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"** (مر١٢:١٧) لم يكن يقصد كما يردد البعض حتى من الكتّاب والمفكرين، أن يفصل بين الدين والدنيا، بين الله والوطن والمجتمع، بل كما رأينا فى حياته وفكره، أراد أن يقول إن الانتماء لله ليس فقط لا

يتعارض مع الانتماء للوطن ولا مع دفع حقوق المجتمع والعمل لصالحه، بل إن الانتماء الحقيقى لله والتدين الحقيقى الصحيح يظهر فى المواطنة الصالحة وفى الحياة اليومية الشاهدة لخير المجتمع والأمة.

٦- فكر الرسول بولس :

يؤكد الرسول بولس ما تنادى به المسيحية فى المساواة الكاملة بين المواطنين، بغض النظر عن خلفياتهم الدينية أو الثقافية أو الاجتماعية، وبغض النظر عن كون المواطن رجلاً أو إمرأة، فيقول فى وضوح قاطع **"ليس يهودى ولا يونانى ليس عبد ولا حر ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحداً فى المسيح يسوع"** (غلا٣:٢٨). ثم يضيف الرسول **"لأنه لا فرق بين اليهودى واليونانى لأن رباً واحداً للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به"** (رو.١٠:١٢).

هذه المساواة هى أساس المواطنة فى فكر الرسول بولس، ولذلك ينادى بالمواطن الصالح، وبالسلطات العادلة التى تعمل لصالح المواطنين، ويحدد العلاقات العامة التى تربط أفراد المجتمع والسلطات معاً، والحقوق والواجبات التى تحكم الجميع فيقول **"لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله. حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل**

للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان. افعل الصلاح فيكون لك مدح منه. لأنه خادم الله للصلاح. ولكن إن فعلت الشر فخف. لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر. لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير. فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً. إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه. فأعطوا الجميع حقوقهم. الجزية لمن له الجزية. الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام." (رو١٣:١-٧).

وإن كان الرسول بولس يضع المساواة بين الناس أساساً للمواطنة، فهو يضع "الحرية" رمزاً لكل حقوق المواطنة، أو ما نسميه الآن "حقوق الإنسان"، وينادى بالحرية طريقاً للخلاص ومصدراً للإبداع ونبعاً للتقدم.

لذلك يقول للجميع "فاثبتوا إذاً فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير العبودية" (غلا٥:١). ثم يجعل هذه الحرية مسئولة ومنظمة، للصالح العام للفرد وللمجتمع، فيقول فى نفس السياق "فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الأخوة. غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً" (غلا٥:١٣).

ثالثا

لاهوت المشاركة

من الأسس التي ناقشناها معاً يتضح أن الإنسان الذى خلق على "صورة الله" فأصبح وكيلاً لله على الأرض، مدعو أن يقوم بدوره "كمواطن" في تنمية مجتمعه وعالمه فى إيجابية واضحة. فهو مسئول أمام الله عن العالم ككل، وعن مجتمعه الخاص الذى يعيش فيه، عن الطبيعة والبيئة والحفاظ عليها، واكتشاف القوانين المنظمة لحركتها والعلوم الخاصة بها، والمشاركة فى النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة بهدف الوصول إلى حياة أفضل للناس من حوله.

ونحن نؤمن أن الله الواحد هو إله العالم وسيد التاريخ كما أنه إله الدين، بمعنى أنه الإله الذى يهتم بكل ما هو دينى ودنيوى معاً، وبالتالى لا يمكن فصل ما جمعه الله. إنه إله الخليقة وهو أيضاً إله العهد، إله العدالة كما إنه إله التبرير. الإله الذى يهتم بخلاص الإنسان وتحريره من الخطية، وكذلك من الظلم والاستغلال والعبودية. إن الله إله كامل واحد لا يتجزأ، وعمله عمل كامل شامل لا يتجزأ أيضاً. وإن

كان هذا هو إيماننا، إذن لا يجب أن نفصل الإيمان عن أعمال المحبة التى هى التعبير الصادق عن هذا الإيمان.

ونحن نؤمن أن تجسد السيد المسيح ومجيئه إلى العالم، دعوة صريحة لنا للمشاركة فى تغيير العالم والمجتمع الذى نعيش فيه إلى حياة أفضل. فهو مازال يتجسد فينا عندما نعبر عن حبنا "للآخر"، وعن اهتمامنا بقضايا مجتمعنا والمساهمة الفعالة فى إيجاد الحلول لها.

كنائس العالم

على هذا الأساس أدركت الكنائس المختلفة فى العالم أهمية المشاركة فى مجتمعاتها وفى الشئون العالمية المختلفة. فاهتمت هذه الكنائس مثلاً "بحقوق الإنسان" وساهمت فى نشرها وتعميقها وتصويب إتجاهها طبقاً لظروف المجتمعات المختلفة، فأصدرت الكنيسة الكاثوليكية **"الكنيسة وحقوق الإنسان"** (الفاتيكان ١٩٧٥)، وأصدر الاتحاد العالمى للكنائس المصلحة (البروتستانتية) كتاب **"الأساس اللاهوتى لحقوق الإنسان"** (جنيف ١٩٧٦)، وأخرج الاتحاد اللوثرى العالمى مجلدين، الأول **"وجهات النظر اللاهوتية عن حقوق الإنسان"** (جنيف ١٩٧٧)، والثانى **"ما مدى مسيحية حقوق الإنسان؟"** (جنيف ١٩٨١).

كما تبنت كنائس أمريكا اللاتينية فى الستينات من هذا القرن

"لاهوت التحرر Liberation Theology"، بسبب الفقر والعنف والإضرابات، وانتهجت نهجاً سياسياً ثورياً في تغيير ظروف المجتمع.

وفى بلاد شرق أوربا والتغييرات الجذرية التى حدثت فيها -بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، نستطيع أن نرى دور الكنائس البروتستانتية المصلحة المشاركة فى صنع التغيير والتمهيد له، كما حدث فى رومانيا على سبيل المثال وموقف **القس لازلو توكس** LAZZLO TOKES الذى انتقد سياسة شاوشيسكو -فى ذلك الوقت- فى تعامله مع المجرمين فى رومانيا. هذا الموقف الذى كان الفتيل الذى أشعل موجات الاحتجاج التى أنهت حكم شاوشيسكو فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٩. وفى ألمانيا الشرقية، وبعد التحرر من الحكم الشمولى ازداد تقدير البلاد لدور الكنيسة الإنجيلية، فدخل عشرون قسيساً فى برلمان البلاد المكون من ٤٠٠ عضواً، كما دخل ٣ قسوس فى مجلس الوزراء أحدهم وزير الدفاع والثانى نائب رئيس مجلس الوزراء. وفى تشيكوسلفاكيا، وبعد تحرير البلاد من نير الشيوعية، أصبح الدكتور القس جوزيف رومادكا نائباً لرئيس الوزراء هافيل، تعبيراً عن ثقة الشعب فى الكنيسة الإنجيلية (للدراسة الأوسع انظر بحثاً **للدكتور القس عبد المسيح اسطفانوس** بعنوان "الكنيسة الإنجيلية وشرق أوربا").

وفى التاريخ المعاصر لجنوب أفريقيا وكفاحها حتى التحرير لا ننسى دور الكثيرين من قادة الكنيسة، وعلى رأسهم الأسقف تيتو، الذين رافقوا الرئيس نيلسون مانديلا فى رحلة الكفاح الشاقة، كما لا ننسى

فى أمريكا دور مارتن لوثر كينج ضد التفرقة العنصرية وإقرار الحقوق المدنية للزنوج، والقس جيسى جاكسون فى دوره الحالى،والدور الذى لعبه ويلعبه الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر فى اتجاه السلام العالمى.... إلخ.

التيارات الفكرية

على أن الكنيسة وهى تعيش دورها تعرضت لمنحنيات كثيرة. فمرة يظهر تيار فكرى ينادى **باندماج الكنيسة الكامل فى المجتمع** الذى تعيش فيه، ومن رواد هذا التيار اللاهوتى الألمانى **إرنست ترولتش** ERNST TROELTSCH الذى ظهر فى بداية القرن التاسع عشر، والذى نادى بدمج اللاهوت مع القضايا الفكرية والاجتماعية لعصره، وقد دعى إلى ما أسماه **"لاهوت الاندماج** Theology of Involvement". ويقدر ما أبرز هذا التيار أهمية القضايا الاجتماعية والأخلاقية، بقدر ما أخفق فى القضايا الإيمانية والعقائدية، وحوّل رسالة الإنجيل بغناها وشمولها إلى لون من النشاط الاجتماعى.

وعلى النقيض من التيار السابق، ظهر تيار آخر ينادى **بالفصل التام بين الكنيسة والعالم**، بين الإلهى والطبيعى أو بين **"الروحى"** و **"الدنيوى"**. وفى ظل هذا التيار الانفصالى ظهرت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حركات تنادى بهذا التوجه عرفت بالجماعات "التطهرية" وتأثرت بالنظرة "التقوية" أو "البيوريتانية" التى تدين أساليب الحياة المدنية، وأن "العالم" الشرير قد دخل إلى حياة الكنيسة،

وبالتالى تدعو إلى الانسحاب من العالم والانفصال عن المجتمع. وخطورة هذا التيار أنه كرس الازدواجية أو الانفصام الذى نراه فى حياة الناس بين العبادة وبين السلوك العملى فى الحياة اليومية، كما عمق الفجوة بين هذه الثنائية الله والعالم، الروح والجسد، الروحى والدنيوى إلى آخره، بالإضافة إلى الخطر الرئيسى وهو الانسحاب من المجتمع.

ونتيجة لدور الجماعات التطهرية التى أشرنا إليها على الكنيسة الإنجيلية، ركز الإنجيليون على الحياة الخاصة Privat Life وجعلوا الإيمان علاقة بين الإنسان وربه، وبالتالى أهملوا الحياة العامة Public Life التى تثير قضايا البر والحق والعدل، والظلم الاجتماعى، والعلاقة بين الشعب والحاكم، والديمقراطية والحرية، والشرور الاجتماعية إلى آخر هذه القضايا العامة. لقد اهتم الإنجيليون أكثر بالفرد وأهملوا الجماعة، اهتموا بالمؤمنين ونسوا المجتمع كله، منادين أن صلاح الفرد يؤدى إلى صلاح المجتمع.

أما فى الكنيسة الارثوذكسية فيقول **الأب متى المسكين** فى كتابه **"المسيحى فى المجتمع"** صفحات ١٣-١٧، فى أسباب فتور العلاقة التى تربط الكنيسة بالعالم، أن الكنيسة مرت فى ثلاثة أدوار منذ العصر الرسولى حتى الآن. **الأول** هو الإحساس بقرب مجىء المسيح ثانية بصورة سريعة (لو١٩:١١)، وهذا الاعتقاد تسبب فى إهمال الكنيسة لمسئوليتها تجاه العالم، وصحح الرسول بولس هذا الاعتقاد الخاطىء فى (رسالة تسالونيكى الثانية ٢:١و٢) بأن وقت مجىء

المسيح لا يعرفه أحد، كما لا يستطيع أحد تحديد نهاية العالم، لذلك ينبغى أن نستيقظ لمسئوليتنا ولدورنا. الدور **الثانى** برز فى مطلع القرن الثالث وهو الاضطهاد العنيف ضد الكنيسة الذى نظمه العالم الوثنى بقسوة بالغة، لذلك دخلت الكنيسة ليس فى شعور الغربة فقط بل العداوة للعالم. هذا الشعور زاد جداً من انكماش الكنيسة وتقلص دورها. أما الدور **الثالث** فقد جاء موازياً تماماً لحركة الاضطهاد والاستشهاد، ومتأثراً بها نوعاً ما، واحتجاجاً صارخاً سلمياً ضد العالم ومظالمه، وهو الدور الذى برز فى حركة الرهبنة التى انطلق فيها الناس إلى الجبال والبرارى يعيشون، أو يموتون عن العالم. وبهذا تكون الكنيسة قد أخذت أكثر مواقفها السلبية ضد العالم فى هؤلاء الأشخاص الذين هجروا العالم نهائياً ونبذوه باعتباره موطن الخطية والفساد.

وإن كنا نرى أن تيار الاندماج بين الكنيسة والعالم قد تطرف إذ أهمل التركيز على طبيعة الكنيسة، فتيار الانفصال والانسحاب قد تطرف كثيراً لأنه أهمل رسالة الكنيسة وأفقدها دورها الإيجابى كنور وملح الذى نادت به كلمة الله. ولذلك ظهر **تيار ثالث معتدل ينظر إلى العلاقة بين الكنيسة والعالم نظرة متوازنة.** وكتعبير عن هذا التيار، حددت الكنائس كلها فى العالم رؤيتها نحو دور أكثر فاعلية فى المجتمع لصالح تنميته وتطويره، والمشاركة فى صنع حياة أفضل لكل أفراده. ومن هنا أفرد المجمع الفاتيكانى الثانى حيزاً كبيراً فى وثائقه

عن الكنيسة فى العالم المعاصر (١٩٦٢-١٩٦٥) (انظر الطبعة العربية الثانية لوثائق المجمع صفحات ٢٩-١٣١)، وفى هذه الصفحات نجد الحديث عن كل القضايا المعاصرة، وعن دور الكنيسة ومسئوليتها في المشاركة فيها.

وفى اتجاه متقارب سارت الكنائس الإنجيلية فى تجمعها فى لوزان فى سويسرا عام ١٩٧٤ حيث نادت بالدور الإيجابى الشامل للكنيسة فى العالم. كما نادى المفكرون واللاهوتيون الإنجيليون بخطأ الاعتقاد بأن صلاح الفرد يؤدى حتماً إلى صلاح المجتمع، لأن طبيعة المجتمع مركبة ومعقدة والعلاقات فيه متداخلة. ومن بداية الإصلاح ظهر هذا التصحيح، ففى الوقت الذى يركز فيه لوثر على تجديد الفرد، ركز كلفن على تجديد المجتمع. وقد شرح اللاهوتى المعاصر "**رينهولد نيبور**" هذه الفكرة فى كتابه "**الإنسان الأخلاقى والمجتمع غير الأخلاقى** Moral Man and Immoral Society"، وفكرته أن العلاقات بين الأفراد كأفراد يمكن أن تبنى على أسس أخلاقية، لكن العلاقات بين المجتمعات تبنى على أساس سياسى، وما ينطبق على الفرد لا نستطيع أن نطبقه على المجتمع ككل (انظر مقال للدكتور **القس فايز فارس** "**المسيحى والسياسة**" مجلة الهدى عدد فبراير ومارس ١٩٨٦). كما نادى اللاهوتى الألمانى المعاصر "**ديترش بونهفر**" الذى أعدمته السلطات النازية لأنه أعلن رأيه فى النازية كنظام سياسى، بأنه "ليس فى الإمكان أن يحتمل العالم الحديث تجاهل الواقع بالبحث عن المسيح دون

العالم، أو البحث عن العالم دون المسيح". كما نادى "مولتمان" -الذى أشرنا إليه سابقاً- بأن "المسيحية ينبغى أن تقدم نفسها دائماً فى طاعتها اليومية، وفى تجاوب المسيحيين لنداء العالم لهم ليقوموا بدورهم الاجتماعى".

المجتمع المصرى

وفى المجتمع المصرى تحاول بعض القيادات المسيحية التى أدركت هذا التيار المعتدل المنفتح، الذى يرى الكنيسة "كالخميرة" فى العالم، أن تدفع الكنيسة للانفتاح على مجتمعها وتشارك فى تنميته. وفى كتابه " **المجتمع فى ميزان الكنيسة**" وفى الصفحة التاسعة يقدم **الأب فاضل سيدأروس اليسوعى** ثلاثة اعتقادات رئيسية، **الأول** "أن رسالة الكنيسة فى المجتمع لا تقتصر على الاهتمام بالأفراد، والأفراد المؤمنين فحسب، وإنما تشمل الجماعات والفئات والمجتمع بأسره. **والثانى** أن رسالة الكنيسة لا تقتصر على الروحانيات ولا على المستوى الروحى فقط، بل تشمل الشخص بكامله، الشخص كوحدة متكاملة متجانسة لا تتجزأ. **والثالث** أن لا ثنائية ولا انفصال بين الله والإنسان، بين السماويات والأرضيات، بين الكنيسة والعالم، بين الروح والجسد. فبالطبع لكل طرف خاصيته التى يستأثر بها، ويتميز بها عن الآخر، وإنما التمييز لا يعنى الفصل والازدواجية، بل هناك تفاعل وتكامل بين الأطراف".

وعلى الجانب الإنجيلى هناك كتابات كثيرة تدفع إلى هذا الاتجاه الصحيح المعتدل، كما أشرنا إلى بعضها فى سياق حديثنا السابق، كما أضاف **الدكتور القس صموئيل حبيب** إسهامات عديدة فى هذا المجال آخرها كتابه "**الكنيسة والدولة**"، بجانب الدور الواضح للطائفة بقيادته فى المشاركة فى ظروف ومشكلات بلادنا، من خلال اللقاءات والمؤتمرات، والعمل المشترك مع كل القيادات الدينية والفكرية والإعلامية، والتعاون مع الكنائس فى اللقاءات القومية. كما لا نستطيع إغفال دور السنودس مثلاً فى مؤسساته الطبية والتعليمية التى تخدم الجميع دون استثناء. كما أن الدور المتميز للهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية فى تطوير القرية المصرية لمدة تزيد على الأربعين عاماً، قد جسد بأداء رائع هذا الاتجاه المنفتح.

وبالقطع هناك الأدوار والهيئات الأخرى للكنائسس الأرثوذكسية والكاثوليكية مما يضيق المجال هنا لحصره وذكره فى عجالة سريعة كهذه.

لكن السؤال هنا... لماذا مع كل هذه المجهودات لدفع الكنيسة فى الاتجاه الصحيح، وهو الانفتاح على المجتمع، وأن تحافظ على طبيعتها المقدسة وفى نفس الوقت على رسالتها المجتمعية فى توازن دقيق، لماذا تبدو الكنيسة -حتى الآن- متأثرة بالتيار الانفصالى السلبى بشدة؟ عاجزة على الانفتاح والحركة؟ للإجابة على هذا السؤال نقول إنه بالإضافة إلى العامل الفكرى أى تأثر الكنيسة بالتيار السلبى، الذى

ما زالت ملامحه بارزة حتى الآن، متمثلة فى النظرة السلبية "للعالم" وفى النظرة "الفردية" للحياة الروحية، هناك عوامل اجتماعية وسياسية خاصة بظروف مجتمعنا. ففى الأوقات الطويلة التى لم تتمتع فيها بلادنا بمساحة معقولة من الديمقراطية، وأخذت بالنظام الشمولى، امتنع المواطنون -مسلمين ومسيحيين- عن الانشغال بالسياسة، إما خوفاً من الأخطار التى يتعرض لها الفرد عند المشاركة فى أى رأى يتعلق بنظام الحكم، أو إحساساً بالإحباط نتيجة الأثر المعدوم لأى جهد يقوم به المواطن. وهنا توقفت الكنيسة عن المشاركة الإيجابية الواجبة. إن المشاركة الإيجابية النشطة تنمو دائماً -وفى كل بلاد العالم- فى المناخ الديمقراطى وفى الطابع المدنى للمجتمع المعاصر، وبغياب هاتين الركيزتين الأساسيتين تغيب المشاركة أو تضعف جداً.

وإذا تركنا فترة الخمسينيات والستينيات، وأتينا إلى مرحلة السبعينيات فى أيام الرئيس الراحل أنور السادات، نجد بداية تحرك نحو الركيزة الأولى متمثلة فى "المنابر" التى أصبحت بعد ذلك "الأحزاب"، وهى خطوة هامة نحو التعددية السياسية، لكننا فى نفس الوقت نجد تراجعاً عن الركيزة الثانية وهى المجتمع المدنى. وبسبب هذا التناقض الذى تعلقت أسبابه بحسابات السلطة السياسية فى ذلك الوقت، انكمش الطابع المدنى، وبرزت بشدة الصبغة الدينية على كل شىء، وزادت لغة الخطاب الدينى كثافة، سواء فى وسائل الإعلام أو مناهج التعليم، وبدأنا نقرأ ونسمع التهجم على جوهر العقائد الدينية

للآخر، والتمييز بين المواطنين على أساس دينى وليس على أساس المواطنة. وهنا تصاعدت أحداث العنف التى نعرفها جميعاً، وازدادت وطأتها فى البداية على المسيحيين قبل أن تصل إلى القطاعات والفئات الأخرى فى المجتمع. فى هذا الجو انغلقت الكنيسة أكثر على نفسها، وتعمق -رغم كل مجهودات القيادات التى ذكرناها- إحساس الاغتراب، وغابت فكرة المشاركة النشطة من بؤرة التركيز.

وعندما جاءت حقبة الثمانينات فى عهد الرئيس مبارك، جاءت بانفراج حقيقى متدرج. فبدأ بخروج القيادات الدينية والسياسية والفكرية من السجون، واستقبلهم فى رئاسة الجمهورية تعبيراً عن عصر جديد من الحرية والديمقراطية. ثم بدأ تدريجياً فى اتساع مساحة الديمقراطية بدءاً من رفع الرقابة كاملاً عن الصحف لدعم حرية الرأى، وانتهاءً بتعديل قانون مباشرة الحقوق السياسية الذى أزال العقبات أمام المشاركة الأوسع للجماهير. بل أكثر من ذلك، يدعو الرئيس مبارك الجماهير فى خطابه الأخير أمام مجلس الشعب والشورى إلى ضرورة المشاركة فى إطار المسئولية الوطنية، وأن المشاركة هى جوهر العملية الديمقراطية. وفى هذا الخطاب يناشد الرئيس مبارك جميع القوى الوطنية فى مصر المشاركة فى العملية السياسية وعلى رأسها الانتخابات العامة قائلاً "إننى أتطلع إلى مشاركة أوسع من جانب الجماهير المصرية.. لأن المشاركة الجماهيرية الواسعة تحرس نزاهة الانتخابات وتحمى حيادها، ولأنها تؤكد خروج المواطن من عزلته كى

يصبح شريكاً فى صنع المستقبل، ويسهم برأيه الحر فى استقرار حياتنا النيابية.. وفضلاً عن ذلك فإن المشاركة الجماهيرية الواسعة سوف تؤدى بالضرورة إلى تصحيح مسار الحياة الحزبية فى مصر، لأنها سوف تجعل الأحزاب أكثر تواصلاً مع الجماهير، وأكثر اهتماماً بهمومها وقضاياها" (الأهرام فى ١٨نوفمبر ١٩٩٤).

دعوة للمشاركة النشطة

والانفتاح على المجتمع

فى هذا المناخ المتلىء بنسمات الحرية والديمقراطية الذى يقوده رئيس الدولة والحكومة فى المجال السياسى -كما رأينا- وفى المجال الاقتصادى بالإصلاح الواعد بحياة كريمة للمواطنين، والذى نرجو أن يحقق هذه النوعية من الحياة لكل أبناء الوطن.. فى هذا المناخ نقدم دعوة للكنيسة ودعوة للمجتمع.

فالكنيسة مدعوة الآن لتدرك المتغيرات التى حدثت فى العالم عامة وفى مجتمعنا المصرى خاصة، وأن تدرك من الناحية الأخرى رسالتها ودورها كما رأيناها فى أصولها وأسسها الكتابية واللاهوتية. وأن تخرج من سلبيتها وعزلتها واغترابها إلى المشاركة الفعالة فى هموم وطنها وقضاياه، بديناميكية تعبر فعلاً عن وجودها وحيويتها. وأن تقدم التعليم والتهذيب اللاهوتى الذى يبرز مسئولية الكنيسة نحو

مجتمعها، وأن تشجع المسيحيين على القيام بدورهم، كما ترعى المشتغلين منهم بالسياسة والعمل العام دون توجيههم اتجاهاً سياسياً معيناً بل تثق فيهم وتشجعهم على الحركة الحرة لصالح وطنهم، وأن تذكر الجميع بإرادة الله نحو العالم، وأن الحكام يجب أن يستخدموا سلطانهم لخير وحرية وكرامة الإنسان والمجتمع.

والكنيسة مدعوة أيضاً إلى تشجيع الأفراد على متابعة الأحداث التى تجرى فى المجتمع من خلال كل وسائل الإعلام، والاهتمام بممارسة الحقوق المدنية فى الاستفتاءات والانتخابات العامة، وأن يسرع الكل للقيد فى كشوف الانتخابات. وأن يشترك الأفراد فى المنظمات الجماهيرية، والقنوات الشرعية للتعبير عن الرأى، مثل اتحادات الطلاب والنقابات المهنية والأحزاب السياسية. وأن يعبروا فى كل هذه عن المحبة للقريب دون اعتبار للاختلافات السياسية أو الحزبية أو الدينية، وأن يراعوا مصلحة المواطنين بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية أو السياسية. وعند اختيار مرشح ما، عليهم أن يختاروا أفضل المرشحين دون أى تعصب أو تفرقة. كذلك على المسيحيين أن يشاركوا فى الأزمات والكوارث مع باقى المواطنين في كل المواقع التى أضيرت، بما يساعد الجميع على الخروج من أزمتهم، وأن يقدموا قدر الطاقة التعبير العملى لمعنى الأخوة والمواطنة.

والكنيسة مدعوة أن تدرس المشكلات الواقعية للبيئة التى تعيش فيها، وأن تساهم بالرأى والتوعية فى طريق حل هذه المشكلات،

كالإسكان والانفجار السكانى، والتنمية واتجاه السلام، والبطالة، والهجرة، وتلوث البيئة، ومشكلات الفقر والظلم، وتفسخ القيم، ورعاية المسنين، وعلوم الأجنة والهندسة الوراثية، وزراعة الأعضاء، وحقوق الإنسان، وقضايا المرأة والطفولة، ومحو الأمية، وتطوير القرية والريف المصرى، والإدمان، وبالإجمال كل ما يتعلق بتنمية الإنسان والمجتمع.

والكنيسة مدعوة بالحب، أن تحقق صلاة السيد المسيح **"لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير"** (يو١٧: ١٥). أن تحب "العالم" بمعنى الكون والجنس البشرى والطبيعة والبيئة والمجتمع لا بمعنى "الشرير" و "الشر" الذى فى العالم الذى يطالبنا السيد المسيح أن نتحذر منه وأن نتجنبه. أن تحب العالم لا أن تهرب منه أو تنعزل عنه، ولا أن تسايره وتشاكله، بل أن تكون فى العالم وفى المسيح، وأن تكون على استعداد للتضحية من أجل العالم والمجتمع الذى تعيش فيه تشبهاً بالمسيح، لأنه **"هكذا أحب الله العالم...."** (يو٣: ١٦).

والكنيسة مدعوة للإيمان بوضعها كأقلية فاعلة إيجابية بدون إنكار أو خجل أو خوف، وبدون شكوى أو تذمر، وبدون عقدة نقص أو عقدة اضطهاد، وبدون اختباء أو تبنى نظرية كبش الفداء. بل أن تقبل نفسها وتقوم بدورها فى إيمان واحترام وثقة، وبدون تعصب أو تصلف، ولملء الكيان الحقيقى لا للظهور، ولعطاء الذات للجميع وليس طلباً لسلطة أو امتياز. وأن تدرك الدور الكبير والخطير للأقليات الفاعلة فى كل العالم، فالأنبياء والرسل أقلية، والقيادات التى تصنع الأحداث أقلية،

والعلماء الذين يحققون سعادة وخير البشر أقلية. والأقلية عقلها هو المركز، لأن جسدها محدود، ولذلك تفكر بعمق وتخطط بروية، وتهتم بنوعية الحياة، وبالكيف المنتج المتميز، وبالسلوك الشاهد المقنع، وبالتواجد الخادم المحب، وبالرؤية الواضحة الواعية، وبقراءة علامات الأزمنة وحتميات المكان بعين مفتوحة وحركة مرنة. هذه هي الأقلية الفاعلة التي ننادى بها، والتي تتحمل مسئولية ومخاطرة الإيمان والمحبة في مشاركتها النشطة في مجتمعها، وليست الأقلية المهتزة والمغتربة، المتبلدة والجامدة، المهاجرة من المكان أو من الزمان أو من الاثنين معاً، بل الأقلية التي لها إيمان وروح وحب وجسارة يشوع وكالب في قولهما **"إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها"** (عدد ١٣: ٣٠).

والكنيسة مدعوة إلى دور تربوى تقوم فيه بتنشئة الأجيال الجديدة على المفاهيم الصحيحة للمواطنة والمشاركة والمسئولية الوطنية، وأن تدخل هذه المفاهيم فى جميع البرامج ولجميع الفئات بمختلف مستوياتهم بمثابرة وصبر، حتى نتمكن من وجود أجيال نشأت من صغرها على الرؤية الإيمانية الصحيحة للعالم والمجتمع. وهذا يعنى أن تقوم الكنيسة بتهذيب وتدريب قيادات قادرة أن تقوم بهذا الدور التربوى للأجيال الجديدة، قيادات اكتسبت هذه الرؤية أصلاً حتى تستطيع تقديمها باقتناع وإقناع. وإذا استطاعت الكنيسة القيام بهذا الدور بنجاح سوف تفرح ليس فقط بالأجيال التى تخلصت من الرواسب السلبية، بل ستجذب أيضاً الأفراد الذين هجروا المجتمعات الدينية، عندما أحجمت

هذه المجتمعات عن الانشغال بقضايا المجتمع الاجتماعية والسياسية، لأنهم اعتبروا هذه المجتمعات والكنائس -على حد قول الدكتور القس فايز فارس- نوعاً من الأحلام الميتافيزيقية والمستقبلية البعيدة التى تتجاهل مشكلات العصر الحاضر، فاشتغلوا بالسياسة غير مستفيدين بالقيم الروحية التى يمكن أن تغرسها فيهم.

ما أكثر الأدوار التى يجب أن يقوم بها الفرد المسيحى والكنيسة كمجموع، فى مناخ مشجع، وفى وقت تحول ضخم فى بلادنا سواء فى الداخل أو فى المنطقة ككل وهى تقوم بدورها كركيزة الاستقرار وراعية السلام، ووسط تحديات صعبة ومتعددة... إنها صرخة أن يستيقظ الجميع من سباتهم، وأن يعود الكل إلى وعيهم الغائب، وأن يتعاون المسيحيون مع إخوتهم المسلمين فى المساحات الكثيرة للعمل الوطنى المشترك.

دعوة للمجتمع

على الجانب الآخر هناك دعوة للمجتمع أن يرتفع، بقيادة النخبة المسئولة والمفكرة والإدارات المختلفة، إلى مستوى التوجه الذى تتطلبه هذه المرحلة الهامة من تاريخنا. وأن تدفع المجتمع على إزالة جميع

العقبات والقيود التى تعرقل حركة المشاركة النشطة للجميع. وأن تصوغ "طريقة تفكير جديدة" تناسب انطلاقتنا المرجوة، تقبل فعلاً التعدد والتنوع، وتنسجم مع الآخر كما تتصالح مع الذات، وتعلى قدر القيم الدينية السامية والإيجابية التى هى سور الأمان والأمن للجميع. وأن تعمق مفهوم المواطنة بمعنى المساواة والحرية والمشاركة للكل، كما تنادي بالتكامل والتعاون والانفتاح على الأديان والحضارات للإثراء والإبداع، وأن تبتعد عن أى إتجاه يمثل خطراً على وحدة الوطن ونسيج المجتمع المصرى الواحد.

وهناك -والحمد لله- العدد الكبير من هذه النخبة الذى قاد ويقود هذا التوجه المستنير ويصارع الأهواء والأنواء العاصفة التى تهدد مجتمعنا. يقول الأستاذ **فهمى هويدى** فى كتابه **"مواطنون لا ذميون"** وفى الصفحة التاسعة "نحن بإزاء موقف يتهدد المسلمين وغير المسلمين، الاستسلام له سيقود الجميع إلى قاع أليم، والسكوت عليه اشتراك فى الجريمة تقترب من التواطؤ والتستر، وليس أمامنا إذا أردنا لأنفسنا بقاءً واستمراراً، إلا أن نستجمع القوى، ونتشبث بما تبقى من خير وعقل لدى هذه الأمة، لنثبت ونقاوم ونمسك بالزمام قبل أن يفلت".

هذه الطريقة الجديدة فى التفكير يسميها **الأستاذ والمفكر سامى خشبة "الفقه الجديد"** أى القانون المناسب للوضع الجديد، ثم يضيف فى (أهرام يوم الجمعة ١٩٩٣/١٢/٢٤): إن مواطنى مصر لم يعدوا لا فى وعى الحركة الوطنية، ولا فى الواقع، مجرد مسلمين و "أهل ذمة"، إنما

أصبحوا جميعاً مواطنين مصريين. هذا ما يجب أن نعيد اكتشافه الآن، لأنه كان **"حجر الأساس"** لبناء وعينا الوطنى الحديث ودولتنا الحديثة.." وفى نفس المعنى يقول **"جيمس كونانت"** (١٨٩٣-١٩٧٨) عالم الكيمياء الأمريكى "إن المجتمع الذى يتكون من جميع أعضائه، هو فى الوقت نفسه ملك لجميع أعضائه، وهذا هو الأساس للديمقراطية".

أما المستشار طارق البشرى فيقول فى كتابه (الشعب الواحد والوطن الواحد) "صفحة ٧٧".. كل ما وراء المساواة والمشاركة لا يملك أحد أن يضمنه لأخيه ولا لنفسه. وليس من عاصم إلا الانتماء وإنكار الذات. وكيف يأتى ذلك بغير إسلامية المسلم وقبطية القبطى معاً، يتوحدان مندمجين فى وطن واحد على أرض واحدة.. إن المساواة تعنى الاتحاد، وهى تتضمن المشاركة، وهما من أوضاع المواطنة وتقرير المساواة حل دستورى، وهى فى الوقت نفسه تحتاج إلى نشاط فكرى على أسس وطنية وقومية جامعة فى إطار الأهداف العليا للمجتمع. فى تصديه لأعبائه وفى تحقيقه لنهضته، فضلاً عن إحياء العلاقات التاريخية الصحية بين ذوى الأديان فى إطار المواطنة. والتاريخ القبطى يمثل حقبة من التاريخ المصرى الطويل القديم، وقد سبق العصر القبطى العصر الإسلامى، فلا يوجد ما يتنافى مع الإسلام فى تقرير بطولات هذا العصر، وما كان فيه من رجال عظام مثل أثناسيوس، ومن حركات شعبية مجيدة هى مصدر فخار واعتزاز لمصر والمصريين... ونذكر قولة **الشيخ البنا** (إن الإسلام أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن

كانت تستمد قوتها من نص مدنى فقط). وعلى الغالبية مراعاة هذا الجامع. على الأقلية الدينية مراعاة ما فى الحضارة الإسلامية العربية من معنى يتعلق بقوميتهم، بمثل ما يرحب المسلمون بالتاريخ القبطى وما فيه من مجد وعزة وألا يسمحوا لأفراد أن يتجاوزوا إطار الصالح العام للجماعة كلها.

لم تبن وحدة مصر فى ١٩١٩ بفصل الهلال عن الصليب، بل كان رمزها احتضان الهلال للصليب، كرمز لاحتضان الغالبية الدينية للأقلية. ونحن لا نبحث عن صيغة فناء بل صيغة وجود. وجود حى قوى. وحسبنا على هذه البسيطة المساواة والمشاركة فى الوطن. والتواد والتحاب فى العيش. والتزاور فى الدور، والتجاور فى القبور".

أما الدكتور **أحمد كمال أبو المجد**، وزير الإعلام السابق، والمفكر الإسلامى المعروف، فينادى فى كتاب "**رؤية إسلامية معاصرة -إعلان مبادىء**" فى القسم الثانى والذى يتحدث عن المنطلقات الأساسية، ينادى بحرية العقيدة والعبادة، والمساواة الكاملة بين المواطنين المسلمين وغير المسلمين على قدم المساواة التى يكفلها الدستور وتنظمها القوانين (انظر صفحة ٣٧).

وفى (صفحة ٣٩) من نفس الكتاب يقول "الحريات العامة شرط للنهضة الحقيقية... هذا حكم العقل وتوجيه الإسلام وشهادة التاريخ. وبقى أن يعرف العرب المسلمون حكاماً ومحكومين أنه ليس أمام أحد خيار فى هذه القضية. وأن الذين يحاولون الالتفاف على هذه الحقيقة

إنما يحرثون في البحر ويبنون قصورهم على الرمال.. ويضيعون أوقات شعوبهم وفرصها الحقيقية للنمو والتقدم.. وتصور الإسلام للإنسان.. يمنع أن تصادر الحرية باسم المصلحة، أو أن يتسلط بعض الناس على بعض، ولو تم ذلك تحت لواء الدين.. إن احترام الحريات العامة هو الضمان الحقيقي للتقدم والبناء والاستقرار. إننا نعلن في غير مواربة ولا مجاملة لأحد، إننا نبرأ إلى الله وإلى الناس من تجزأة الحرية والمناداة بها لفريق وإنكارها لآخر".

وفي ندوة في رحاب المجلس الأعلى للثقافة بعنوان **"حركة التنوير في مصر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"** التي نظمتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس من ٥-٧ أبريل ١٩٩٤، يقول **الدكتور صلاح العقاد** "إن منظمي الندوة اختاروا بعض الموضوعات التي تكشف قضايا كانت قد حسمت ثم عاد المتزمتون يطرحونها في أيامنا تلك.. من هذه الموضوعات مفهوم الانتماء الوطني الذي كان محل جدل في أوائل القرن العشرين بين أنصار فكرة الجامعة الإسلامية وفكرة الوطنية المصرية. إلى أن تبلور هذا المفهوم في ثورة ١٩١٩ التي لم تقف عند حد اختيار المفهوم الوطني بالمعنى الحديث، الذي يعبر عن مجتمع متجانس تاريخياً ومكانياً، وإنما أيضاً تجاوزت ثورة ١٩١٩ الروح الطائفية التي كانت تعرقل تطور فكرة الوطنية المصرية.." (الوفد ١٩٩٤/٣/٣١).

وأخيراً -وليس آخراً- يقول المفكر الاقتصادي **الدكتور حازم**

الببلاوي "لا وجود للفرد دون مجتمع يعترف بحقوقه وحرياته" (انظر كتابه "التغيير من أجل الاستقرار" صفحة ٢٨).

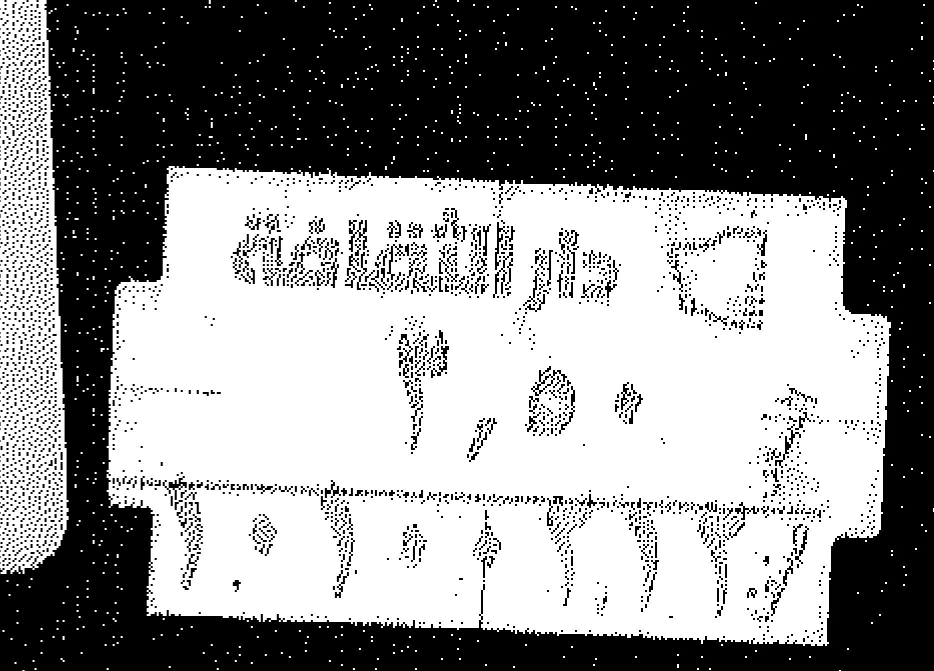
هذه هى الدعوة المزدوجة للجانبين، للكنيسة وللمجتمع، للمسيحيين وللمسلمين على السواء. وهذا هو الأساس المكين الراسخ الذى تستند إليه فكرة المواطنة، ويتحقق به الوفاق الوطنى الذى لابد منه، لمواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين.

يتصور بعض المسيحيين أن حياتهم تنتمى الى (الروحانيات) فيغالون فى السلبية وعدم الانشغال بقضايا مجتمعاتهم على أنها تهم أهل العالم (غير الروحانيين) فينعزلون عن مواطنيهم ظناً منهم أن الانتماء للدين يتعارض مع الانتماء للوطن .

لكن هل هناك أسس كتابية ولاهوتية لهذه الأفكار ؟ وما هو الموقف الصحيح من (العالم) ؟ وكيف تطور مفهوم المواطنة عبر التاريخ ؟ وكيف نتخلص من السلبية وندفع الجميع الى المشاركة الفعالة لبناء الوطن وتنمية المجتمع ؟

تجد إجابات لهذه التساؤلات وغيرها فى هذا الكتاب .

د.ق. مكرم نجيب أستاذ علم الوعظ والتفسير بكلية اللاهوت الإنجيلية بالعباسية وراعى الكنيسة الإنجيلية بمصر الجديدة .





١٠١٠٠٢١٢